عبر من حــجِّ بيت اللَّه الحــرام

الحمد لله العزيز الجبَّار، المتعالي عن إدراك الخواطر والأبصار، أحمده تعالى حمداً يليق بمننه العظمى، وأشكره شكراً يزيد من كلِّ نعمى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المفضلُ بأشرفِ الرسالة وأوضحِ الدلالة، جاء بالأمر صادعاً ولله خاشعاً ولأمته شافعاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الجد في الطاعة والتشمير، ومن سار على نهجهم إلى يوم المآب والمصير.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التقوى، فمن اتقى ربه نجا، ومن صَدَقَه لم ينله أذى، ومن رجاه كان حيث رجا.

أيها المسلمون:

في البلد الأمين تعلو نفوس الصالحين بتحقيق الأماني، ويتنعمون بصفو الأيام والليالي، وحول بيت الله يأمن الخائفون: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: الآية ٩٧]، لقد امتدت قداسة البيت المعظم إلى النبات في الأرض والطير في الفضاء.

البيت المشرف هو الرمز الخالد للحنيفية السمحة، رفعت قواعده على الإخلاص ونهض على الخشية، فأصبح شامخَ البنيان، ثابت

الأركان، يطاول الزمان في منعة من الله وأمان، تتعاقب الأجيال على حجه ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه، في واحته الأمن والاطمئنان، وفي جواره الخيرات والثمرات: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: الآية ٥٧]، عند البيت تصفو الأرواح ويرقّ القلب والطبع، وحوله يستظل المسلمون براية الهدى والإيمان.

أيها المسلمون:

الحج مجمع الإسلام الأعظم، ومحفل المسلمين الأكرم، تلتقي فيه الجموع على دعوة أبيهم إبراهيمَ عليه السلام ليهذبوا النفوس ويصححوا كدر المعتقد، فيه تَخَلُّصٌ من النار وفوزٌ بالجنان، يقول النبي ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**» (متفق عليه). ولما سئل النبي ﷺ أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور**» (متفق عليه). والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

تتلاشى في الحج فواصل الأجناس واللغات والأقطار والألوان، ويظهر فيه ميزان التقوى والإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: الآية ١٣]، فيه براءة من الذنوب وفكاك من أسر العذاب يقول النبي ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة**» (رواه مسلم).

الحج عبادة ونسك، طاعة وانقياد، مجاهدة وصبر، تلبية وشكر، سكينة ووقار، ذل وانكسار، تنوع في العبادة واختلاف في القرب، تسكب فيه العبرات وتقال فيه العثرات، فحبذا العمل المبرور ونعم السعي المشكور، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي بذل الثمين لطاعة الله فليتنافس المتنافسون، فطوبى لمن لبَّى نداء ربه، وطاف بالكعبة المشرفة

البهية، ويا فوز من وقف بعرفات، ولبَّى وكبَّر فحطت عنه السيئات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعد: الآية ٢٩].

أيها المسلمون:

ليس الحج عبادة مجردة ممثلة في نزع المخيط، بل أُسُس وقواعد وضوابط في منهاج الدنيا والدين، فمن لحظة الدخول في النسك أَمْرٌ بإخلاص الأعمال لله: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٦]، فحقق المتابعة والإخلاص في حجك، واجعل مبتغاك حَطَّ السيئات والأوزار، والانتقال من الردى إلى الهدى، وفي التلبية صدع بإعلان التوحيد وإيماء لعزة المسلم بإظهار أعلام دينه في جميع أحواله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنَافِقون: الآية ٨]، ويقبح بالحاج بعد رفع كفيه إلى العلي الأعلى بالضراعة في عرفات أن يطأطيء رأسه للغابرين في لحودهم، وللموتى في قبورهم ويدعوَهم من دون الله، وقد عاهد نفسه في حجه: لبيك لا شريك لك لبيك.

أيها المسلمون:

لقد وجدت هاجر ـ عليها السلام ـ نفسها في واد ومعها ابنها الرضيع إسماعيل عليه السلام، وفي ضنك حال هاجر وعنت العيش مع ابنها وتجرع مصابها وغياب زوجها في واد جرد وأرض بور لا مزن فيها ولا زرع، اتجهت إلى من يجيب المضطر ويكشف السوء، لم تجثُ عند صنم لزوال مصابها، ولم تركع لوثن لكشف ضرها، ولم تخنع لِندّ لِعَوْدِ زوجها، ففي طلب الغوث منهم فوات المطلب وحسرة المأثم، ولو عكفت الدهر كله في دعائهم لم يتحقق مرامها: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فَاطِر: الآية ١٣]، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٥]، وما رجا أحد مخلوقاً إلا خاب ظنه فيه، ففوضت أمرها إلى

الواحد الأحد وقالت لزوجها: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا، ولما توكلت على الله حق التوكل جاءها الغوث من السماء فعند موضع زمزم بحث الملك بجناحه حتى ظهر الماء في صحراء اللأواء والجدب فجعلت تحوضه قال النبي ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، لكانت زمزم عيناً معيناً**» (رواه البخاري).

فإن لاح لك عسر فارجُ يسراً بالتوكل على الله فقد قضى ربك أن العسر يتبعه اليسر بإذن الله، وبالصبر والتقوى تنال الجنة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: الآية ٣٥].

أيها المسلمون:

في تقبيل الحجر الأسود تعبد محض، فيه معنى الاستسلام لله والانقيادِ لأوامره ولو مع خفاء الحكمة يقول الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: «والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك».

إن الكبرياء والعظمة من خصائص صفات الرحمن يقول النبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**» (رواه أحمد)، والحج دعوة لنبذ الفخر والخيلاء والعتو والاستعلاء، وإعلان بأن الكبر له وحده سبحانه، إعلان ذلك بالتكبير عند الرمي والطواف وفي يوم النحر وأيام التشريق.

إن الحياة السعيدة ما كان مبناها على الإكثار من ذكر الله، والحج منطلق للذكر، تلبية وتكبير، استغفار عند المشعر، وتعظيم لله أيام التشريق يقول النبي ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل**» (رواه أحمد).

إنَّ إتقان العملِ وإدراكَ أهمية الوقت سيما المسلمين في حياتهم وعباداتهم، بغروب الشمس تحوُّلٌ من بقعة إلى بقعة وانتقال من منسك

إلى منسك لا يسبق فعل فعلاً، نظام عامر في الحياة والشعائر، منه المنطلق في الجدية والاتباع.

وفي رمي الجمار تذكير بعمق عداوة الشيطان لعباد الله، فاحذر أن تقع في شِرَاكه، لقد عرض لخليل الرحمن، يوسوس له بعصيان الملك الديان، فرماه بقلبه وجوارحه وأراد إتمامَ أمرِ ربه بذبح ولده لكن رحمةَ أرحمِ الراحمين أدركته بعدما امتثل الأمر وأعلن الاستسلام.

إن بشائر الإيمان إلى المدينة النبوية انطلقت من مؤتمر الحجيج بعد بيعة العقبة، فكن بعد حجك داعياً إلى الله في بلادك. وادع الخلق إلى الحق بحكمة وموعظة حسنة على وفق الشرع المطهر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: الآيات ٢٧ ـ ٢٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

فمن مقاصد الإسلام في تشريع الحج تقرير مبدأ الأخوة الإسلامية تحت كلمة التقوى وشهادة الحق، وفي الحج يأتلف عِقْد المسلمين وتتضح معاني المساواة الإسلامية في أجلِّ صورها وأبهى معانيها، تتجلى الوحدة والألفة حين يقف المسلمون جميعاً على صعيد واحد في زمن واحد لدعاء ربّ واحد، في ضراعة وخشوع لله، لا فرق بين جنس وجنس، ولا امتياز لفرد على فرد، ولا تفضيل للون على لون، ولا عجب أن أنزل الله في هذا اليوم في حجة الوداع آيةَ الكمالِ للدين الإسلامي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣].

أيها المسلمون:

القاعد لعذر عن العمل الصالح شريك للعامل، وربما سبق السائرين بأبدانهم، فكم من نية صالحة سبقت العمل؟ ومن فاته الوقوف بعرفة فقد شرع له صيامه يقول النبي ﷺ: «**صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده**» (رواه مسلم). وشاركوا الحجيج في هذه

الأيام الفاضلة بالدعاء والتهليل والتكبير، وأكثروا منها كل حين في هذه الأيام العشر، «**فما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**» (رواه الترمذي)، واغتنموا مواسم العبادة قبل فواتها، فالحياة مغنم والأنفاس قصيرة والأيام معدودة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...